4. نماذج لاهتمام بعض حكام مصر بالزراعة والري علي مر التاريخ

الاهتمام بتنظيم الري منذ العصر الفرعوني :

من المؤكد أن كل من حكم مصر وحقق نجاحات اقتصادية علي مر التاريخ كان تنظيم الري من بين أهتماماته إن لم تكن أولي اهتماماته علي الإطلاق وذلك منذ عصور الفراعنة ، فنجد مثلاً المؤرخ الإغريقي الشهير هيرودوت قد كتب منبهراً عن مشروعات الملك امنمحات الثالث في مجال الري وهو أحد ملوك الأسرة 12 بالدولة الوسطي الفرعونية وقد سمي باسم ني ماعت رع ويعتبره المؤرخون من أعظم من حكموا مصر ، ودام حكمه خمساً وأربعين سنة مرت علي مصر في هدوء وسلام وملئت بالمشاريع الكبري العمرانية ، كان أعظمها بطبيعة الحال نظام الري الذي ابتكره للوجه البحري بأن اتخذ من منخفض اقليم الفيوم الذي ينخفض في بعض أجزائه عن البحر بـ 129 قدماً خزاناً للماء حيث لا تزال بحيرة قارون آية علي ذلك فشيدوا علي الفتحة في سلسلة الجبال التي تربط وادي النيل بمنخفض الفيوم سداً عظيماً – سد اللاهون- فنشأت هذه البحيرة الهائلة في التاريخ التي عرفت باسم بحيرة موريس والتي كانت تمد النيل بعد ذلك بالماء خلال فترة التحاريق أشبه بخزان أسوان أو السد العالي في عصرنا الحديث ، وبهذا ضرب عدة عصافير بحجر واحد ، فهو أنقذ الفيوم من الغرق الذي كانت تتعرض له كل عام ، واستصلح أراضي زراعية قام باستغلالها بالفعل ومد النيل بالماء أيام التحاريق[31]

اهتمام بطليموس الثاني بالري :

وظل الاهتمام بمشاريع الري حتي نهاية العصر الفرعوني بل واستمر بعد ذلك في عصر البطالمة وإذا كان بطليموس الأول هو الذي وضع أساس دولة البطالمة ، فإن بطليموس الثاني هو الذي استكملها وزاد عليها ودعم قواعد الحكم من حيث تنظيم وبناء جهاز الدولة الإداري والإقتصادي والمالي ، كما اهتم بالتجارة والتوسع التجاري بحيث أصبح الأسطول المصري يجوب بحرية في مياه البحر المتوسط ، وشجع التجارة والأسواق واهتم بتطوير الزراعة وأكمل مشروع تعمير الفيوم كما قام بإنشاء الترع والمصارف والقنوات وتطهيرها من الرواسب لتوسيع الرقعة المزروعة كما شجع كبار الزراع علي تصدير منتجاتهم[32]

---

[31] ورد بالجزء الأول من موسوعة تاريخ مصر للأستاذ أحمد حسين صفحة 80 وما بعدها وتحت عنوان امنمحات الثالث حوالي 1842 قبل الميلاد وفترة حكم امنمحات الثالث حل فيها النعيم والأمن والسكينة علي البلاد ، حتي ترنم القوم بالفرعون قائلين : أنه يكسو القطرين جنة خضراء أكبر من النيل العظيم ، لقد زاد القطرين قوة ، كيف لا وهو نفس الحياة المرطب للأنوف ، هو الذي يوزع الخيرات علي تابعيه ، هو المغذي لخلفاءه ، هو الفداء وفي فمه الخير

[32] نقلاً باختصار عن كتاب هؤلاء حكموا مصر من مينا إلي مبارك إعداد حمدي عثمان – المراجعة العلمية د ناصر الأنصاري –الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثانية- صفحة 114-115

الإمبراطور أغسطس ومشاريع الري :

وعندما قام الإمبراطور الروماني أوكتافيوس أغسطس بضم مصر للإمبراطورية الرومانية سنة 30 قبل الميلاد وأنهي حكم البطالمة في مصر ، اتخذ بها عدة إجراءات ومن أهم هذه الإجراءات أنه قام بتوزيع عدد ضخم جداً من القوات الرومانية في مواقع حساسة ومهمة في أنحاء مصر وبلغت هذه القوة ثلاثة فرق رومانية كاملة وعدداً من الكتائب المساعدة وهذا يعادل حوالي 22800 مقاتل وهو عدد يفوق بكثير متطلبات الموقف[33] وذلك يعكس حقيقة قلق أغسطس البالغ ، كما قسم مصر إلي ثلاثة مناطق إدارية وأصدر قرار يمنع بمقتضاه أي شخص من عظماء روما أن يزور مصر إلا بإذنه شخصياً سواء كان من مجلس السناتو أو من كبار القادة الطموحين وهذا يدل علي حكمته البالغة وخبرته الواسعة في أمور القتال والسياسة أيضاً ، كما قام بإجراء العديد من الإصلاحات الزراعية ومشاريع الري وتطهير القنوات وشق الترع وإصلاح المرافق وأعطي تعليماته للوالي أن يستكمل كل هذه الأعمال بعد مغادرته إلي روما وكان اهتمام أغسطس بالزراعة وخاصةً زراعة القمح في مصر لأنها ستصبح المصدر الرئيس للقمح في الإمبراطورية حيث أصبحت مصر تطعم روما بعد ذلك كما جعل لمصر عملة خاصة بها وأطلق علي هذه الإجراءات (سر الإمبراطورية)

عصر الولاة والاهتمام بالزراعة :

(- - تولي حكم مصر في أعقاب الفتح العربي لها ولاة كانوا يعينون من قبل الخلافة الإسلامية في المدينة المنورة أو دمشق أو بغداد ، وقد اعتاد المؤرخون أن يسموا العصر الذي يبدأ بفاتح مصر عمرو بن العاص حتي قيام الدولة الطولونية سنة 254 هـ "868م" بعصر الولاة وقد روعي في اختيار هؤلاء الولاة أن يكونوا من أصحاب السمعة الطيبة والنزاهة والعدالة فإذا أهمل أحدهم شئون مصر أو استبد بأهلها عزله الخليفة وأتي بغيره طبقاً لتعاليم الإسلام التي تقرر أن الحكم ينبغي أن يكون في أصلح الناس له ، ولهذا كان الولاة أو علي وجه الدقة معظمهم ، يحرصون علي استثمار ثروات مصر ومواردها فيما يعود بالنفع علي الشعب المصري الذي ارتضي الإسلام ديناً وبدأ يتعرب من الجيل الأول بعد الفتح -)[34] ، (- - وفي عصر الولاة اهتم حكام مصر بشئونها الاقتصادية ، فأولوا عنايتهم بالزراعة عقب الفتح مباشرة وعملوا علي زيادة الغلات والمحاصيل واهتموا بشئون الري - -)[35]

الرخاء يعم الجميع في عصر الولاة :

يقول الدكتور شوقي ضيف : (ومما يدل بوضوح علي رخاء مصر في عصر الولاة ومدي ما كان يتمتع به القبط من حسن المعاملة خبر رواه المقريزي وقع في أثناء زيارة – الخليفة – المأمون لمصر سنة

---

33 معالم تاريخ وحضارة مصر – القسم الثاني (د سيد الناصري) صـ 123

34 مصر في العصور الوسطي (د محمود الحويري) صفحة 68

35 مصر في العصور الوسطي (د محمود الحويري) صفحة 90

217 هـ إذ مر بقرية يقال لها وطاء النمل وكانت إقطاعية لقبطية عجوز تسمي مارية ، فتعرضت له تسأله أن ينزل في ضيافتها مع حاشيته ومن يرافقه من جنده ، وعجب لكثرة ما قدمت من أطعمة ، فلما أصبح جاءته ومعها عشر وصائف ، مع كل وصيفة طبق ، فظن أنها ستقدم له بعض هدايا الريف المصري ، فلما وضعت الوصائف الأطباق بين يديه إذا في كل طبق كيس من ذهب ، فشكرها وأمرها برده ، فأبت إباء شديداً ، وتأمل الذهب أو الدنانير فإذا بها من ضرب عام واحد ، مما يدل علي ربحها من عام ، فقال : هذا والله أعجب ، - - وقال لها ردي مالك بارك الله لك فيه ، فأخذت قطعة من الأرض وقالت : يا أمير المؤمنين هذا الذهب من هذه الطينة التي تناولتها من الأرض ثم من عدلك يا أمير المؤمنين ، وعندي من هذا الذهب شئ كثير ، فأخذه المأمون لبيت المال)[36]

<u>استمرار الاهتمام بالري حتي العصر الحديث :</u>

واستمر الاهتمام بتنظيم الري حتي عصر محمد علي باشا ومن بعده ، فمن أعماله فتح ترعة المحمودية " نسبة للسلطان محمود " وغيرها من الترع في شمال وجنوب مصر كما أنشأ الجسور العديدة والقناطر كما أنه قام بتحويل نظام الري من ري بالأحواض إلي ري دائم بعد أن أنشأ القناطر الخيرية ،

(كانت أراضي الوجه البحري - - تروي بطريق الحياض كري الوجه القبلي فلا يزرع فيها إلا الشتوي ولا يزرع الصيفي إلا علي شواطئ النيل أو الترع القليلة المشتقة منه وقد أخذ محمد علي في تغيير هذا النظام تدريجياً إذ أخذ في شق الترع وتطهيرها وإقامة الجسور علي شاطئ النيل ليضمن توفير مياه الري في معظم السنة وصارت الترع تروي الأراضي في غير أوقات الفيضان جهد المستطاع ولاسيما بعد إقامة القناطر عليها - - وقد توج محمد علي أعمال الري التي أقامها بإنشاء القناطر الخيرية واسمها يغني عن التعريف فإنها قوام الري الصيفي في الوجه البحري وهي وإن كانت آخر أعماله في الري إلا أنها أعظمها نفعاً وأجلها شأناً وأبقاها علي الدهر أثراً)[37] كما قام محمد علي بتوسيع نطاق الزراعة وغرس الأشجار واهتم بتحسين زراعة القطن وأدخل أنواعاً جديدة تصلح للنسيج واستقدم خبير فرنسي لتنظيم مصانع النسيج ، وبعد انتهاء عصر أسرة محمد علي وقيام العصر الجمهوري في مصر تم إنشاء السد العالي في عهد الرئيس جمال عبد الناصر وهو مشروع ضخم يحقق الاستقرار المائي لمصر ، كما تم استغلاله أيضاً في توليد الكهرباء ،

وعلي كل حال هذه مجرد نماذج علي مر التاريخ في مصر لاهتمام حكامها بالري والزراعة منذ عهد الفراعنة ويمكن تخصيص الفصل القادم عن علاقة تنظيم الري بنظام الحكم في مصر منذ أقدم العصور

---

36 نقلاً عن كتاب (تاريخ الأدب العربي) عصر الدول والإمارات – مصر – تأليف د شوقي ضيف – دار المعارف صفحة 45

[37] عصر محمد علي (الرافعي) صفحة 394